مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 127) 2024, pp. 867-879

العقيدة والهرطقة في الفكر المسيحي قراءة نقدية لموقف يوحنا الدمشقي من الإسلام في كتابه الهرطقات المئة

أ.م.د. نصير كريم كاظم
مكان العمل قسم الفكر الاسلامي/ كلية الامام الكاظم عليه السلام
nasserkareem@alkadhum-col.edu.iq
07727677695

مستخلص البحث:
افضى تعدد القراءات للنص الديني إلى تعدد الآراء داخل الدين فضلاً عن خارجه، ومع تخوّف الأديان على بنيتها الداخلية من الاختراق كون النقد داخلياً، عمدت إلى وضع عقوبات صارمة للحد من هذه الأفكار التي تخالف القراءة الرسمية. ونحاول من خلال بحثنا إلقاء الضوء على جدلية مهمة بين حرية الرأي والاتهام بالهرطقة في المسيحية، التي تعد الأفكار التي تغاير معتقداتها خروجاً عن السياق العام للدين ومخالفة لضروریاته الاعتقادية، وينطلق البحث من تسليط الضوء على النصوص القديمة التي رافقت ظهور الإسلام في بداياته، التي تعد من أقدم النصوص التي تمثل الجدل المسيحي الإسلامي وهو مؤلف الراهب يوحنا الدمشقي المعروف بدفاق الذهب من خلال مؤلفه "الهرطقات المئة" الذي أخذ صدى كبيراً في دوائر التبشير والاستشراق.

كلمات مفتاحية: يوحنا الدمشقي العقيدة الهرطقة الاسلام.

مقدمة:
شكّلت الهرطقة محوراً وسلاحاً في الصراع الفكري الدائر بين الاديان، إذ كانت العلاقة على طرفي نقيض من دعوى امتلاك الحقيقية المطلقة لكل دين وبين اتهام الاخر بالمروق، وادعاء الحق المطلق كانت الغاية التي دفعت بدراسات نقد الأديان الى نقد معتقدات المخالفين لها، وتعدد القراءات للنص الديني أفضى إلى تعدد الآراء داخل الدين فضلاً عن خارجه، ومع تخوّف الأديان على بنيتها الداخلية من الاختراق كون النقد داخلياً، وفي محاولة دفاعية للتخلص من خطورة الآراء المخالفة عمدت إلى وضع عقوبات صارمة للحد من هذه الأفكار التي تخالف القراءة الرسمية.
ونحاول من خلال بحثنا إلقاء الضوء على جدلية مهمة بين حرية الرأي والاتهام بالهرطقة في المسيحية، التي تعد الأفكار التي تغاير معتقداتها خروجاً عن السياق العام للدين ومخالفة لضروریاته الاعتقادية، وينطلق البحث من تسليط الضوء على النصوص القديمة التي رافقت ظهور الإسلام في بداياته، التي تعد من أقدم النصوص التي تمثل الجدل المسيحي الإسلامي وهو مؤلف الراهب يوحنا الدمشقي المعروف بدفاق الذهب من خلال مؤلفه "الهرطقات المئة" الذي أخذ صدى كبيراً في دوائر التبشير والاستشراق.تضمّن البحث مبحثين، الأول: نظري يوضّح العقيدة وما دار حولها والهرطقة وما شملها من موضوعات، والثاني: كان تطبيقياً لموقف المسيحية من الآراء المخالفة لها من خلال كتاب "الهرطقات المئة" إذ كانت قراءة نقدية لما تضمنه هذا الكتاب فيما يخص الهرطقة الأخيرة التي اختصها يوحنا الدمشقي للإسلام ليعلن من حيث لا يشعر أن هذا الدين هو الأخير.

إشكالية البحث: ثمة إشكاليات عديدة رافقت تشكّل المعتقد في الاديان عموماً والمسيحية خصوصاً، منها ما سيحاول البحث الاجابة عنها: هل يمكن الحكم على معتقدات المسيحية بأنها استقرّت نهائياً؟ ألم تمر تلك المعتقدات بمراحل إلى أن استقرت في القراءة الرسمية؟ هل كان لعاملي الزمان والمكان تأثير لتكون المعتقد؟ أين يمكن تصنيف أصحاب الآراء التي تخالف المعتقد الرسمي خلال مسيرة تشكل العقيدة وتطورها وانتهاءً باستقرارها؟، هل يحق لنا ان نطلق على افكار هرطقات في زمان

معين، ونجدها أصبحت عقيدة لمجموعة كبيرة بعد ذلك؟، من المعني بتشكل العقيدة؟، هل تعتقد المسيحية بمبدأ تطور العقيدة؟، لماذا عدّ يوحنا الدمشقي الاسلام من الهرطقات المئة؟، هل اعتقد يوحنا أن النبي محمداً صلى الله عليه واله كان مسيحياً وخرج منها؟، ما أهم الإشكاليات التي أثارها ضد الاسلام ونبيه صلى الله عليه واله وسلم؟

فرضية البحث:

إن كثيراً من المعتقدات في الاديان قد مرت بمراحل التطور ومازالت، ويكشف عن ذلك تعدد القراءات للنصوص المقدسة واختلاف الرؤى في تحديد المراد النهائي منها، وما تعدد الفرق الا نتيجة حتمية لتعدد الافهام، مما يؤدي الى مقولة التطور في العقيدة.وأمام إشكالية التعدد تظهر معضلة الحقانية المطلقة، التي يمتلكها اصحاب الدين، بل اتباع كل فرقة في داخل هذ الدين بقبال الفرق الاخرى، وتظهر أمامنا إشكالية أخرى في التراتبية المنطقية ونتيجة حتمية للحقانية المطلقة، هي اتهام الآخر المختلف في الرأي بالخروج عن دائرة الدين واتصافه بالبدعة (الهرطقة)، وإن كان يجمعه الدين نفسه، ولم تكن المسيحية بعيدة عن ذلك إذ نحاول الإجابة عن هذه الإشكاليات في المسيحية ونتعرض لآراء يوحنا الدمشقي في كتابه الهرطقات المئة مثلاً تطبيقياً، وكيف اتهم النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم بالهرطقة؛ لأنه جاء بأفكار تخالف ما يؤمن به من حق كما يعتقد هو من عقيدة، ويبدو أنه تعامل مع النبي (صلى الله عليه واله وسلم) على أنه مؤمن مسيح، فلا داعي أن نصف احداً أنه مهرطق مالم يتم تصنيفه من داخل المنظومة الفكرية التي تجمعهم بحسب اعتقاد يوحنا الدمشقي، وإن اشكالياته التي طرحها على الاسلام كان يريد بها ضرب الاسلام بالصميم.

المبحث الاول: الإطار المفاهيمي:

قبل الشروع بالبحث لابد من تحديد المراد من العقيدة المسيحية ومراحل تطورها لنتعرف كيف تشكلت، ليتضح لنا موقف المسيحية من الآراء التي تخالف القراءة الرسمية للعقيدة المسيحة والتي اطلقت عليها بالهرطقات التي سنعرج عليها في هذا المبحث ايضاً.

المطلب الاول: مفهوم العقيدة: تمثل العقيدة محوراً اساسياً ترتكز عليها الأديان، ومرت هذه المعتقدات بمسيرة من حيث التأسيس حتى بلوغها عقيدة رسمية، ولا يخفى أن تعدد الرؤى واختلافها في تحديد الحقيقية هو من أهم أسباب نشوء الفرق والمذاهب في كل ديانة، وليس المسيحة بدعاً عن هذه الحتمية، فالعقيدة تعني: **"ما انعقدت عليه النفس، أي ما اعتنقته وصدقته وارتبطت به ارتباطاً وثيقاً"** (عقائدنا المسيحية الارثوذوكسية، 2007، صفحة 18)، فهي مرتبطة بالإيمان المترسخ في النفوس، والعقيدة بهذا المعنى أشمل من العقيدة الدينية التي تشترك معاً في الرسوخ لكن قد تكون بعض المسائل من العقيدة نظير التعلق بأفكار قد تخالف روح الدين في بعض الأحيان. **فالعقيدة:** بمعناها الدقيق في المسيحية: **"حقيقة أوحى بها الله مباشرة بذاتها وأوجبت السلطة الكنسية التعليمية الايمان بها"** (مختصر في علم اللهوت العقائدي، 1965، صفحة 7)، ونلحظ هنا أن للعقيدة شرطين في المفهوم المسيحي: **أولهما:** أن تكون مباشرة من الوحي، **والثانية:** أن توجب الكنيسة الإيمان بها، واستمدت المسيحية هذا الإيمان من نص بولس الرسول الذي يحذر أهل تيموثاوس من الانحراف العقيدي والتمسك بالوحي: **"إن كان أحد يعلم تعليماً آخر لا يوافق كلمات ربنا يسوع المسيح الصحيحة والتعليم الذي هو حسب التقوى فقد تصلف وهو لا يفهم شيئاً"** رسالة تيموثاوس1: 6: 3-4.

ولنا أن نسال إن كانت الأسفار المقدسة بمعنى (الوحي) قد تحددت قانونياً وهي كاملة وكافية في ذاتها لكل شيء والعقيدة مستمدة منها، فما الحاجة أن نضيف إليها سلطان الكنيسة، حتى تعد العقيدة صحيحة؟

ويجيب متى المسكين: إن سبب ذلك يعود إلى عمق الأسفار المقدسة إذ صار مستحيلاً أن يفهمها الجميع أو يقبلوها بمعنى واحد، فشخص يفهم الكلمات بطريقة، والآخر بطريقة أخرى، حتى بدت وكأنها قابلة لأن تشرح بطرق تساوي عدد الشراح أنفسهم
(التقليد واهميته في الايمان المسيحي، 2006، صفحة 46).

مسألة: تطور العقيدة المسيحية:

ونسأل هل العقيدة ثابتة ولا يمكن أن تتطور؟ وإن كان كذلك فما موقف المسيحية من الآراء التي قد تخالف العقيدة الرسمية المسيحية؟ وعلى ذلك كيف تتشكل العقيدة المسيحية؟

مرت المسيحية أسوة بالأديان الاخرى بعملية الفهم البشري للنصوص وتعدد الفهم الخاص بالمعتقدات، إذ شهدت الكنيسة الكثير من أصحاب الفهم المغاير لما استقر عليه الرأي الرسمي للعقيدة المسيحية واصطلحت عليهم الكنيسة بأصحاب الهرطقات، أمثال الراهب الاسكندراني آريوس وابوليناريوس ونسطور واوطوخاي (طبيعة المسيحية، 1991، الصفحات 23- 25)، وقد عد القس إبراهيم عبد السيد عشرات الهرطقات التي مرت على الفكر المسيحي لمدة عشرة قرون فقط، فكيف بها الى اليوم (البدع والهرطقات خلال عشرين قرنا، 1987، صفحة 7)، ويبدو أن العقيدة المسيحية لم تستقر ولن تستقر بوجود وتجدد الدعوات الاصلاحية داخل المنظومة الفكرية المسيحية. إذ عانت الكنيسة كثيراً من الافكار التي كانت تعتقد إنها تهدد عقائدهم، والتي تصدى لها بولس الرسول لهذه منذ البداية والتي كانت تهدد وجود الجماعة المسيحية الأولى، محاولاً الرد عليها كما في مزاعم البدعة في رسالته إلى مؤمني كولوسي (التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، الصفحات 2556 - 2557) وغيرهم.

ويظهر بجلاء تطور العقيدة المسيحية عبر التاريخ وتعدد القراءة للنصوص المسيحية، من خلال المناقشات والمراجعات التي كانت تعقد لأجلها المجامع الكنسية باستمرار؛ لمعالجة الأفكار المنحرفة وضبطها ووضع قراءة رسمية لها، تنتخب من خلال رأي الحاضرين في المجمع، تلك المجامع التي صاغت العقيدة المسيحة باستمرار
(مجموعة الشرع الكنسي، 1998، الصفحات 39 - 40).

بيد أن تلك المجامع لم تحض بقبول اقطاب الكنيسة الغربية الشرقية على سواء، فالذي كان يصدر قانوناً من الغرب يجد تأويلاً له في كنيسة الشرق والعكس صحيح، ومن الفوارق بين موقف الكنائس الغربية والشرقية اتجاه الكنائس، إن الغربية تعتقد بعصمة تشريعات المجامع بخلاف الشرقية التي لا تعتقد بعصمتها (قوانين المجامع المسكونية وخلاصة قوانين المجامع المكانية، 2013، الصفحات 15 - 21)، التي اتهمت بعضها البعض بالهرطقة.

وثَمّ جانب إيجابي يلوح في الأفق، إذ تظهر **"بركات للهرطقة"** لا تعد ولا تحصى كما عبر عنها متى المسكين فمن بركاتها، يقول: "وبالرغم مما جلبه هذا الصراع الطويل المرير على الكنيسة من آلام وتمزق، فإنه كان عاملاً فعالاً في تثبيت الإيمان وتفجر طاقات الإلهام والمعرفة وتجدد حاسة الحق والتعمق في الرؤيا والكشف، مما أفاض على روح الكنيسة وإيمانها وعقيدتها بركات لا تحصى ولا تعد" (التقليد واهميته في الايمان المسيحي ، 2006، صفحة 104).

وليتضح الموضع أكثر لابد من بيان آراء الكنائس المختلفة في مسألة تطور العقيدة، نلحظ هنا ثلاثة مواقف لتطور العقيدة عند المسيحية:

1- **وجهة النظر الكاثوليكية:** ويكون التطور في العقيدة في طرق المعرفة للمعتقد، إذ لا بأس بذلك بسبب تنوع العلوم وتطور المعرفة، بمعنى أن التطور يكون في الوسائل التي توصل للإيمان لا التطور بالإيمان نفسه، فالإيمان نفسه لا تطور فيه، ويعلم الكتاب المقدس والتقليد بصريح العبارة أنه

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 127) 2024, pp. 867-879

ليس للوحي من تتمة منتظرة بعد ما قام المسيح والرسل من بعده بتأدية رسالته، وقد نادي المسيح بنفسه مكملاً لناموس العهد القديم (مختصر في علم اللاهوت العقائدي، 1965، الصفحات 11 - 12).

2- **من وجهة نظر الارثوذكس:** إن حركة التطور بالعقيدة قد حكمتها جملة عناصر خضعت لها العقيدة المسيحية مرغمة وأدخلتها في حركة التطور، وجعلها ترضخ لتغير المعتقدات باستمرار، وإن كان الجانب الحياتي منها أكثر تأثر وتلك العناصر **" المكان والزمان والعوامل الاجتماعية"**، ومن الطبيعي أن حلول مسائل هذا العيش تتغير بتغير المعطيات الاجتماعية التي سببتها، ويظهر لذلك المواقف التي كانت تتخذها الكنيسة حتى يومنا هذا إزاء المسائل الزمنية الناتجة عن تجسيدها العقيدة في نفوس المؤمنين (المفهوم الارثوذكسي، 1986، الصفحات 28 - 31).

3- **من وجهة نظر البروتستانت**: يذهبون إلى تطور العقيدة جوهرياً، بحيث يتاح لمضمون العقيدة أن يتغير مع الزمن، إذ إن تقدم العلوم يقتضي تحوير فكرة التعليم المسيحي المتعلق بالله والخلق والروحي وأقنوم الكلمة المتجسد، وهماك عقائد ثابتة لا تتغير ومنها الحقيقة الالهية، كالله نفسه، غير قابلة التغيير: وأن صدق الرب يثبت إلى الأبد (مختصر علم اللهوت العقائدي، 1965، صفحة 7).

ويظهر لنا سؤال آخر: كيف نستطيع التمييز بين العقيدة المسيحية الرسمية من الهرطقات ؟ إذ يشترط في المسيحية حتى تكون عقيدة رسمية:

اولاً: الوحي الالهي المباشر: اذ لا بد من ان تكون وحيا من الله مباشرة، سواء أكان ذلك بصريح الكلام أم بمضمونه، وأن يتضمنها مصدر الوحي، الكتاب المقدس والنقل.

ثانياً: إعلان السلطة الكنسية التعليمية على العقيدة: أن يقدّم الحقيقة التي يجب الإيمان بها، وأن يوجب الإيمان بالحقيقة التي يعلنها. ويجري هذا الإعلان سواء بطريقة خارقة، على صورة بيان رسمي عقائدي يصدّره البابا أو مجمع عام (مختصر في علم اللاهوت العقائدي، صفحة 7).

ونحن أمام ثنائية الوحي وتفسير الوحي، التي قل قراءة الوحي المعبر عنه بالكنيسة التي تحدد المراد من العقائد بعد أن اكتسبت العصمة للبابا، ويبدو أن الكفة تميل إلى امضاء الكنيسة، إذ أن الآراء لا تصل إلى المعتقد الرسمي إلا بعد امضائها من الكنيسة لتكون عقيدة رسمية، إذ الكثير من الآراء السجالية التي كانت تدور بين اتباع المسيحية لا تلبث أن تعد قراءة رسمية بعد تبنيها من اللاهوتيين فتستقر عقيدة مقبولة، وبخلافها تكون هرطقة، يقول لود ويغ: **"ورب مسألة ظلت طويلاً موضع اختلاف، يكف الجدل فيها حالما تعتنق فيها السلطة التعليمية بوضوح احد الآراء المتضاربة فيها، فعندما يعرب الباباوات في كتاباتهم الرسمية، بقصد ونية، عن حكمهم في مسألة كانت الى زمن مثار الجدل، فمن الواضح للجميع انها، تبعاً لنية هؤلاء الباباوات وارادتهم، قد كفت منذ ذاك ان تكون موضوع مناقشة حرة بين اللاهوتيين"** (مختصر في علم اللاهوت العقائدي، صفحة 14). وهذا ما جعل رايموند براون يؤكد على تأثير عاملي الزملكاني في الكنيسة التي تراعي واقع المجتمع، يقول: **"ان الكنيسة تتغير على مدى الزمن، وفقاً لاحتياجات وانماط حياة الأفراد الذين يشكلونها"** (كتاب 101 سؤال وجواب عن الكتاب المقدس ، 2018، صفحة 260). فالمحدد في اعتبار العقيدة المسيحة الرسمية، ارتكازها الى الايمان المسيحي المشترك في النهاية، فالعقيدة المختلفة لابد من تفسيرها في ضوء الايمان الكنيسي الكلي، وان اختلف فهمها، وهذا ما يصطلح عليه تراتبية الحقائق، وليس المهم تعداد الاختلافات في الفهم، بل الاساس تقريبها بحسب قربها من الايمان بالمسيح المشترك للحقيقة (اللاهوت والكنيسة، 2006 ، صفحة 26). لذا نجد الاب متى المسكين يركز على التفاوت في الاقوال وان كان الجميع قديسين، فالمعيار في القبول والرفض هو الايمان الرسمي: **" على ان يوجد اباء قديسون ينبغي ان تؤخذ اقوالهم حجة، كما انه يوجد ايضا اباء قديسون لا ينبغي ان تؤخذ اقوالهم حجة، والتقليد الكنسي يقدم آباءً على آباء وقديسين على قديسين** (التقليد واهميته في الايمان

المسيحي، 2006 ، صفحة 21). فلا عقيدة ان لم يتم الامضاء عليها من قبل رجل الكنيسة، اما الوحي فهو خاضع لفهم وقراءة وتفسير الإباء الذين لديهم العصمة في تحديد ما هو عقيدة صالحة ام طالحة.

المطلب الثاني: مفهوم الهرطقة:

مفهوم الهرطقة: شكلت الهرطقة في الفكر الديني المسيحي معضلة فكرية ومنهجية في التعامل مع الآخر المختلف دينياً، إذ لم تسمح للأفكار غير المنسجمة مع الإطار العام للعقيدة المسيحية بالنمو خاصة في مجتمعات تموج بالفلسفات والأفكار المتنوعة، فكانت كثيراً ما تنعقد المجامع الكنسية للحد والسيطرة ومنع واجتثاث هذه الأفكار الدخيلة التي اسموها الهرطقة، فالخوف من الهرطقة كان عاملاً في انعقاد تلك المجامع (الايمان الكاثوليكي ، 1999، صفحة 21).

وللحديث عن الهرطقة لابد من استيضاح مفهوم البدعة أولاً لتقاربهما دلالياً، إذ إن البدعة في جذر اللغة تعني:" **الحدث وما ابتدع من الدين بعد الإكمال"** (ابن منظور، صفحة 6/8) واصطلاحاً: "الشيء المبتكر غير التقليدي، فإذا أنكر مسيحي، عن عناد أو شك، عقيدة بالمعنى الخاص فانه يرتكب "خطيئة البدعة" (مختصر علم اللاهوت العقائدي، 1965، صفحة 9). و**"الهرطقة"** من الألفاظ الوافدة على اللغة العربية من اللغة اليونانية، التي تشير إلى اختيار قول وتفضيله على غيره من الأقوال إذ كانت تستعمل للدلالة على مذاهب الفلسفة، ثم أخذت الكلمة طريقها إلى الدين، فصارت تطلق على الفرق أو الطوائف الفكرية **"داخل الدين الواحد"**، وانتقلت اللفظة للدلالة على الانشقاق في تعاليم الكنيسة والتعاليم الرسولية ، ومؤسسها عدو للكنيسة المقدسة، ولقسوة من يتهم بها، فضل القديسيون اتهامهم بأبشع الصفات الاخلاقية على أن يتهمه بالهرطقة (البدع والهرطقات خلال عشرين قرنا، 1987، صفحة 7).والهرطقة في المسيحية كما يرى وليتر بعنوانها الأول تكون بدعة بمعنى **"أن أتباعها يلتحقون برأي تعتبره خاطئاً سلطة كهنوتية أو غالبية أعضاء كنيسة معينة".** فالأمر ليس رأياً وحسب، بل هو انحراف. والتعريف الكاثوليكي للهرطقة هو: **"رأي ديني مدان كنسياً على أنه مناقض للإيمان الكاثوليكي، أو خطأ إرادي ومتشبث به، متعارض مع مبدأ إيماني موحى به وتعلمه الكنيسة بصفته هذه"** ويضع وولتر شروطاً للفكرة لتوافق مفهوم الهرطقة: اذ لابد من عَدها انحرافاً عقدياً أو طقسياً أو في نظام الكنيسة، لمعتقدات اكتسبت طابعاً رسمياً من قبل الكنيسة المعترف بها بمعنى**" أن يكون هناك عقيدة رسمية والزامية"** والغريب أن سلاح الهرطقة التي استعمل في تسقيط المختلف في الرأي والحكم عليه أحيانا بالقتل، قد استعمل كثيراً داخل الديانة نفسها، من ذلك الحكم على الكنيسة الارثوذكس بالهرطقة من قبل الكنيسة الكاثوليكية فضلاً عن البروتستانتية (الهرطقة في المسيحية ، 2007، الصفحات 15- 16).

وتتشكل الهرطقات في المسيحية على صورتين أساسيتين:

أولها: تقف على رأسها اليهودية، وهؤلاء على رأيه من يؤمنون بالعهد القديم ايماناً كاملاً، إذ إن عيسى بتصورهم نبي كما أن موسى نبي عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، فلا طبيعة إلهية لعيسى.

ثانيهما: الاتجاه العقلي والفلسفي الذي يعلو الدين، إذ إن الفكر رقيب على الوحي ويسمون أنفسهم بالغنوصية: "هي محاولة فلسفية دينية رأت أن تطلق على ذاتها هذه التسمية، لتعبر عن أنها لا تؤمن الإيمان الأعمى، بل تعتمد على العقل والمعرفة" (الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، 1987، الصفحات 352 - 353) لذا استعملت الهرطقة سلاحاً يوجه للمخالف عقدياً أو يحاول الاعتراض أو الخروج عن الفكر العام للدين، وغالباً ما تطلق على من جاء بأفكار مغايرة من اتباع الدين نفسه، وتتنوع الهرطقات على أنواع ليس كلها تعني الخروج التام عن الديانة قد يكون قسم منها أن يأتي بأفكار جزئية يخالف فيها معتقدات الدين، لذا اختلف في حكمه وماذا يفعل به.

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 127) 2024, pp. 867-879

مسألة: عقوبة المهرطق في المسيحية:

مقدار الضرر يحدد نوع العقوبة، ونلحظ ذلك في المسيحية التي تعاملت مع الافكار التي تخالف معتقدتها الأساسية بعقوبات مختلفة، يتضح من هذه العقوبات مدى الاثار الجسام التي تعرضت لها المسيحية من هذه الأفكار المخالفة لها على مر تاريخها، وحاولت بكل الطرق منع أي اخلال بعقيدتها، وتنبهت لخطورة النقاشات والافكار في زمن مبكر منذ زمن الرسل الاوائل (القوانين الرسولية ، 2006، صفحة 236). إذ جاء في القوانين الكنسية بعقوبة الحرمان للآباء الذين يتواصلون مع المهرطقين من خلال المشاركة معهم في مراسم المعمودية والقربان (مجمع قوانين غبريال ، 1993، صفحة 306)، ولم تكتفِ الكنيسة بمعاقبة رجال الدين المسيح ممن يتواصلون مع المهرطقين إذ ظهرت العقوبات وأخذت منهجاً رسمياً وأكثر صرامة مع المهرطق في قرار المجمع الذي عقد في سنة 1215 الذي تقرر فيه استئصال الهراطقة، وتنوعت العقوبات منها القتل والحرق وأنشئت لذلك محاكم التفتيش (مقارنة الاديان المسيحية ، صفحة 215). ونجحت الكنيسة في استئصال المخالفين وردعهم عبر نضال طويل امتد لقرون.

المبحث الثاني: قراءة تطبيقية في موقف يوحنا الدمشقي من الإسلام:

واختيارنا لهذه الشخصية وهذا الكتاب تحديداً لجعله ميداناً عملياً لكيفية تعامل المسيحية مع المخالفين لها بالراي، فضلا عن أهمية كتاب الهرطقات المئة في ميدان الجدل المسيحي الإسلامي اذ يعد من بواكير الجدل الديني.

المطلب الأول: هل الاسلام كان هرطقة مسيحية؟

أثارني هذا السؤال عندما طالعت كتاب يوحنا الدمشقي، بسبب وضع الاسلام في جملة الهرطقات التي تحدث عنها في كتابه وختم بها الهرطقات المئة، أليست الهرطقات تعني الافكار الخارجة عن أسس الايمان المسيحي؟ لماذا وضع الاسلام مع الهرطقات؟

وتابعت المسالة محاولاً ايجاد جواب شاف، واتضح أنه يلمح إلى أن النبي محمد (صلى الله عليه واله) كان مسيحياً قبل دعوته للإسلام، أو هذا ما فهمته من خلال متابعة كلامه، وسيتضح من خلال مستويين:

الاول: من خلال مفهوم الهرطقة: اتضح من خلال تعريف الهرطقة: إنها فعل مخالف وخروج على السائد من المعتقدات من داخل المنظومة المسيحية، فالهرطقة حركة داخلية لا خارجية، ولم نجد من تحدث عن اليهود أنهم مهرطقون كونهم سبقوهم تاريخياً. فاتهام المسيحية لاتباعها بالهرطقة مصطلح للدلالة عن خروج اتباعها عن الفكر المسيحي الرسمي، لذا اطلاقه على النبي صلى الله عليه واله مصطلح مهرطق دلالة على عده مسيحياً.

الاخر: يتضح من خلال كلام يوحنا الدمشقي نفسه، وفيه نقطتان:

الاولى: الاشارات التي ذكرها يوحنا الدمشقي متحدثاً عن النبي صلى الله عليه واله يقول: **" قام في ما بينهم نبي منتحل النبوة _ اسمه محمد، والذي قد أنشأ هرطقته الخاصة "** (الهرطقة المئة، 1997، صفحة 50)، فوصفه (صلى الله عليه واله) بالمهرطق واتضح في تعريف الهرطقة انها تطلق على الفرق أو الطوائف الفكرية **"داخل الدين الواحد"** (البدع والهرطقات خلال عشرين قرنا ، 1987مطبعة الانبا رويس، صفحة 7)، فهي الافكار الخارجة عن الإيمان المسيحي.

ثانياً: يقول يوحنا عن النبي (صلى الله عليه واله) **" أنشأ هرطقته الخاصة بعد أن تعرف بالصدفة على العهدين القديم والجديد، وبعد أن تحاور كما يبدو مع راهب أريوسي"**

(الهرطقة المئة، 1997، صفحة 50). يبدو أن يوحنا أشار ضمناً الى الراهب الاريوسي معلم النبي الإسلام؛ لأنه يريد أن يؤكد مسيحية النبي محمد (صلى الله عليه واله) إذ أن هناك اشارات سابقة إلى

معلمه المعروف "بالراهب أريانوس" الذي كان مفصولاً ومطروداً مهرطقاً، فأراد إلصاقه بالنبي محمد(صلى الله عليه واله)، ويذكر نجيب عوض سبباً آخراً يبدو مقنعاً، ويحيلها الى الذهنية الحاكمة على يوحنا الدمشقي، يقول في أن الإسلام نهاية الهرطقات؛ لأن بها تكتمل قصة الهرطقة لتكون علامة على قدوم الدجال فالإسلام الحلقة الاخيرة في الهرطقات لآخر الزمان
(المسيحية الاموية، 2024، صفحة 170).وحديث يوحنا الدمشقي لم يكن الأول، إذ ظهرت اقوال أخرى عززت هذه المقولة بأن **"النبي محمد** (صلى الله عليه واله) **كان مسيحياً"**، إذ سبقت يوحنا أقوال تحدثت عن أن محمداً (صلى الله عليه واله) كان مسيحياً صالحاً؛ لكن الشيطان خدعه من خلال ظهوره له على شكل ملاك الرب، فجعله يدعو بدعوة شيطانية، رغم اعتقاده أنه يدعو الناس للرب (الاسطورة المسيحية للراهب بحيرا في النصوص العربية والسريانية، 2020، صفحة 30). وأيد ذلك غيره من الباحثين (الرسول (ص) في عيون غربية منصفة، 1426، صفحة 22) (نقد الخطاب الاستشراقي، 2002 ، صفحة 44).

المطلب الثاني: دراسة تطبيقية في كتاب الهرطقات المئة:

اولاً: حياة يوحنا الدمشقي: ولد يوحنا الدمشقي باسم منصور بن سرجون عام 676م في دمشق على خلاف في سنة الولادة في مدة الحكم الاموي للشام، وقيل بين 675-749م (الفيلوكاليا ، صفحة 225)، وغير اسمه إلى يوحنا بعد تفرغه للرهبنة، إذ كان مسيحي المنشأ من عائلة تعمل في القصر الاموي، ورثها من جده وبعده أباه ومن ثم هو أيضاً، وشغل جده مكانة مرموقة إذا تسنم مسؤولية جباية الأموال في الحكم الاموي، التي شغلها يوحنا مدة من الزمن أيضاً، وبعد عزله من الوظيفة في زمن عبد الملك بن مروان أو عمر بن عبد العزيز على خلاف، تفرغ إلى الرهبنة والعبادة والتأليف في "دير القديس سابا" في فلسطين (وزراء النصرانية وكتابها في الاسلام ، 1987، صفحة 75).

نشاطه العلمي: يعد يوحنا الدمشقي آخر الآباء الشرقيين، إذ حاز على مكانة دينية فيمن أتى بعده من خلال سعة التأليف في اللاهوت المسيحي والدفاع عنه، وله عدة مؤلفات، بين الدعوة إلى المسيحية وتثبيت عقيدتها وبين الدفاع عنها من خلال الهجوم على الديانات الاخرى. إذ حصل يوحنا على ثقافة عالية جداً في الفلسفة اليونانية، وطوعها للدفاع عن العقائد المسيحية وتوظيفها في عرض اللاهوت المسيحي ودرس الكتب المقدسة (منصور بن سرجون ، 1991، صفحة 85)، وعرف بالدفاع الشديد عن "الايقونات"، وكان تأليفه باللغة اليونانية مع اجادته للغات السريانية والعربية. وشكل الدمشقي مرجعاً مهماً لمن جاء بعده في مجال دراسات التنصير والاستشراق، والدراسات اللاهوتية
(اكذوبة ام اعجوبة ، 2024، صفحة 47).

وفاته: توفي الدمشقي في عام 749م في "دير سابا" ودفن فيه بعد أن عاش الشطر الأخير من حياته راهباً متنسكاً، تاركاً عدداً من المؤلفات في الجدل اللاهوتي، والدراسات الروحية التي وضع جزءاً منها في الصلاة الشرقية، وبسبب مكانته الدينية وعلى الرغم من نسبته الى الكنيسة الشرقية التي جعلت له يوما كعيد، إلا أن الكنيسة الكاثوليكية احتفت به أيضاً وعدته معلماً.

ثانياً: دارسة تطبيقية في كتاب الهرطقات المئة:

ألّف يوحنا الدمشقي الهرطقات المئة باللغة اليونانية، التي اختلف الباحثون في سبب ذلك مع اجادته اللغة العربية، وذكروا احتمالات منها: أنه كان خائفاً من شيوع الكتاب ووقوعه بيد المسلمين لما تضمنه من ألفاظ واساءات عليهم فكتبه بلغة تخالفهم، والآخر: إن الكتاب كان يستهدف فيه المسيحيين حصراً، وهو للدفاع عن المسيحية ضد الاسلام فكان موجهاً للمسيح حصراً (المسيحية الاموية، 2024، صفحة 188).

ثالثاً" مصادر يوحنا في الهرطقات المئة:

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 127) 2024, pp. 867-879

اعتمد يوحنا على القران الكريم ولكن لم يشر له صراحه، وأوضح نجيب جورج إن يوحنا من خلال أخطائه في اشكالياته على القرآن الكريم يعطي انطباعاً إن يوحنا لم يدرس القران مباشرة، بل سمع من المسلمين تلك الأحداث وأسماء السور والقصص (الاموية، صفحة 214)، وأشار ايضاً الى العهد القديم والجديد، من خلال الاحالة إلى ما ورد فيهما من مواضع (التكوين: 21: 10 - 18).

رابعاً: منهج يوحنا:

1- عرض المسالة: يتميز منهجه في عرض المسالة أولاً وبعدها يقوم بالرد عليها، مثال عرض مقولة القران في التوحيد وقصة عيسى عليه السلام (الهرطقة المئة ، صفحة 51)، إذ عرضها باختصار شديد، وبعدها قام بالاعتراض عليها، ومن ذلك السؤال والجواب الافتراضي مع مسلم (الهرطقة المئة ، صفحة 62).

2- منهج الحوار الافتراضي في الحوار: استعمل كثيراً هذا المنهج في الحواريات الافتراضية، وهي حوارية كثيراً ما افترضها خلال كلامه محاوراً شخصية تقابله ليسهل عملية الاشكال والرد عليه، وهو دائماً ما يجيب بلسان المسلم باقتضاب، لبيان عجزه عن الرد عليه ويبرز قوة حجته الشخصية، وسبب انتهاجه هذا الأسلوب في الحوار أن مؤلفه قد أعده لاتباع المسيحية الذي لابد من التركيز على عقيدتهم وابرازها دون اظهار عقيدة المسلمين التي يراد الرد عليها.

أسلوب يوحنا:

1- ولم يكن يوحنا الدمشقي موفقاً في استخدامه للألفاظ التي ساقها على نبي الاسلام محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ووصفه باوصاف كان يمكن أن يبتعد عنها خاصة وهو راهب ومتنسك، ولديه مؤلفات في الوعظ والاخلاق والزهد التي توجب عليه أن يكون سلوكه مطابقاً لها خاصة مع من يخالفه في المعتقد، وذكر الفاظ لا نذكرها انما نحيل اليها تحفظاً (الهرطقة المئة ، صفحة 53).

2- وصفه المسلمين بالبهائم: **" أما أنتم، فإننا نعلن لكم بوضوح أن ناقتكم الخارقة قد سبقتكم إلى نفوس الحمير، إلى حيث أنتم موشكون على الولوج بدوركم كالبهائم هنا الظلمة البرانية، والعذاب الأبدي، والنار التي لا تنطفىء، والدود الذي لا ينام، وشياطين جهنم"** (الهرطقة المئة ، صفحة 60). ويبدو ان هذا الهجوم كان سبباً للعنف الذي تعرض له يوحنا من الحكام المسلمين، مما دفعه بالتلفظ بألفاظ تلعن نبي الاسلام والمسلمين (المسيحية الاموية ، صفحة 188).

خامساً: نقده لشخصية النبي (صلى الله عليه واله وسلم)**:**

أ- **التقليل من شخص النبي محمد** (صلى الله عليه واله وسلم) **حاشاه من ذلك:**

1- التلميح الى نسبه الشريف وتصغيره (صلى الله عليه واله وسلم) حاشاه، يقول عن أصل ديانة الاسلام: **"إنها تتخذ أصلها من إسماعيل بن إبراهيم وهاجر، ولهذا السبب يدعونهم الهاجريين أو الإسماعيليين. كما يدعونهم أيضاً ساريين، أي الذين جردتهم سارة من الميراث"** (الهرطقة المئة ، صفحة 50). وهنا ينسب الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) الى النبي الكريم اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام الذي ولد من السيدة هاجرة التي كانت جارية عند سارة زوجة النبي ابراهيم عليه السلام، وانها تم طردها الى الحجاز برواية التوراة (ينظر: الاسطورة المسيحية للراهب بحيرا في النصوص العربية والسريانية، صفحة 21). ويظهر امامنا سؤال عن سبب اختيار يوحنا تسمية الاسماعيليين للإشارة للمسلمين دون التسميات الاخرى المتعارفة؛ لان هذه التسمية تحمل مضموناً دونياً، خاصة وهو يتحدث مع عقلية مسيحية؛ لان الذاكرة المسيحية تعلم قصة هاجر وولدها اسماعيل الذي طرد ملعونا بلا بركة في التوراة، ذاك اسماعيل الذي ينتسب له نبي الاسلام، اختار الاسم لأنه يكتنز مضامين اجتماعية منحطة (ينظر المسيحية الاموية، صفحة 257).

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 127) 2024, pp. 867-879

2- **اتهام النبي صلى الله عليه واله بالهرطقة وصفات اخرى حاشاه:** ولهذه التهمة أثار جملة إشكاليات محاولاً اعتبار أن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) خارج على المسيحية بدعوته الجديدة يقول: **" قام في ما بينهم نبي منتحل النبوة _اسمه محمد، والذي قد أنشأ هرطقته الخاصة "** (الهرطقة المئة، صفحة 50). وهل كل دعوة جديدة تخالف الرائج من الافكار هي هرطقة، فان كان ذلك صحيحاً كان النبي عيسى عليه السلام مهرطقاً وفق هذا الكلام.

فضلاً عن اتهامه صلى الله عليه واله بادعاء التقوى يقول: **" وبعد أن أحرز لنفسه حظوة لدى الشعب عبر تظاهره بالتقوى" (الهرطقة المئة، صفحة 50)**، وكيف يتظاهر وهو صاحب السجايا والخلق الرفيع عرفت العرب قبل غيرها خلقه وسمو محامده حتى وصفه القران الكريم بأعظم وصف: **"وانك لعلى خلق عظيم" .**

ووصفه للنبي **(صلى الله عليه واله)** حاشاه بصفة الزنا وهو يطعن بالقران الكريم والرسول بايراد قصة تطليق زيد ربيب النبي صلى الله عليه واله وتزوجها منه، يقول: **" وبعد أن اتخذها وزنى معها في هذه الحال" (الهرطقة المئة، الصفحات 56 - 57)**، واتفق المفسرون على ان الغاية من تطليقها وتزوجها الرسول "صلى الله عليه واله" هو تطبيق حكم عدم الحرج من التزوج من مطلقات متبنيهم؛ لان الربيب ليس بولد وانما متبنى فلا يوجد مانع من سبب او نسب يمنع الزواج من مطلقاتهم، قال تعالى: **((وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا)) الاحزاب/ 37،** والآية الشريفة واضحة من علة الزواج للنبي صلى الله عليه واله وسلم فلا معنى لاتهام الرسول بهكذا فعل حاشاه يقول صاحب الميزان: **" ومن يخفيه في نفسه هو ما فرض الله له أن يتزوجها " (تفسير الميزان ، صفحة 16/ 323).**

ب- إن النبي محمداً صلى الله عليه واله وسلم **يعتمد على الاحلام والخيالات حاشاه:** وجهد نفسه محاولاً اثبات ذلك لتسقيط المرتكز الاول اعتماداً على الطعن بشخصية النبي محمد**(صلى الله عليه واله وسلم)**، ويفترض شيئاً لا وجود له سوى ذهنه يقول: **" لكننا نسأل كيف أُوحي بالكتاب لنبيكم. فيجيبون أنّ الكتاب نزل عليه في أثناء نومه" (الهرطقة المئة، صفحة 50)**، من قال من المسلمين ان الوحي نزل على النبي صلى الله عليه واله وسلم في المنام، الوحي كان ياتيه باشكال وتحدث عنها القران الكريم: **((وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب))** فالوحي كان ينزل عليه وهو بين الصحابه وكانت تصيبه "السبته"، وما كان يوحى للنبي في المنام ليس القران الكريم انما امور غيرها. ويقول الدمشقي: **" لا بل تسلّمه في أثناء نومه علاوة على ذلك" (الهرطقة المئة: ، صفحة 52). ويقول عن النبي حاشاه والقران الكريم: " محمّد هذا، كما تكلّم كذلك أنشأ مؤلفات سخيفة وأعطى اسماً لكل منها" (الهرطقة المئة، صفحة 57).** والغريب ان اليه تلقي بولس الرسول في المسيحية مع عيسى كانت بمشهد يماثل الحلم ولم يعترض يوحنا على ذلك، اذ كيف يتراءى عيسى له وبولس لم يرى المسيح في حياته قط.

سادساً: موقفه من القران الكريم: عمد الى تكثيف الشبهات حول القران الكريم منتهجاً فيه نقداً داخلياً واخر خارجياً:

أ- النقد الخارجي: اذ عمد الدمشقي الى التشكيك في أصل القران الكريم من خلال:

1- مقولة أن النبي قد تعلمه من اليهود والمسيح، وهذه الشبهة قد أنسلت الى كتابات المستشرقين على القران الكريم، يقول: **" أنشأ هرطقته الخاصة بعد أن تعرف بالصدفة على العهدين القديم والجديد، وبعد أن تحاور كما يبدو مع راهب أريوسي"** (الهرطقة المئة، صفحة 50)، والغريب، أن هذه الدعوة

لو صحت لماذا نجد في القران الكريم الكثير من الامور التي تتقاطع مع عقيدة المسيح واليهود؟ الدمشقي وهو الفطن لم ينتبه لهذا الموضوع، فلوا كان **النبي محمد** (صلى الله عليه واله وسلم)اخذها عنهم لماذا نجد التغايير بينهما؟ فضلاً عن ان التشابه بين الكتب المقدسة مردها الى وحدة المصدر كونها اديان توحيدة مع علمنا بتحريف تلك الكتب المقدسة.

2- لا يوجد من يشهد له بالنبوة: ويبني دعواه أن النبي محمداً "صلى الله عليه واله" لا يوجد من الانبياء من قال بنبوته كما موجود فيمن قبله، يقول: **" قد أخبر بها في هذا التصنيف المكتوب الذي يتبجح [محمد] بأنه قد نزل عليه من الله. أما نحن فنقول: "من ذا الذي يشهد بأن الله أعطاه كتاباً، أو من أعلن من الأنبياء أن سيأتي نبي كهذا؟ إننا نوقعهم في الحيرة عندما نقول لهم: لقد تسلم موسى الشريعة على [جبل سيناء على مرأى من جميع الشعب عندما ظهر له الله في السحاب والنار والظلام والعاصفة؛ وجميع الأنبياء منذ موسى قد أعلنوا واحدهم تلو الآخر أن سيأتي المسيح، وأن المسيح هو الله، وأن ابن الله سيُقبل متجسّداً وأنه سيُصلب ويموت ويقوم وأنه هو الذي سيدين الأحياء والأموات. وعندما نقول لهم:" لم لم يأتِ نبيكم هكذا، مع آخرين يشهدون له؟ والله الذي أعطى الشريعة الموسى أمام عيون كل الشعب على جبل مدخن، لم يُرسل إلى نبيكم أيضاً - وفي حضوركم - الكتاب الذي تتحدثون عنه بغية توطيد يقينكم"؟ يجيبون بأنّ الله يفعل ما يشاء"** (الهرطقة المئة، صفحة 52).

ويرد عليه من اربعة جوانب:

الاول: إن دليلكم على نبوة السابقين هي الكتاب المقدس الذي ذكر لكم اعلان نزول الشريعة على موسى النبي وباقي الانبياء، فنقول للدمشقي هل رأيت هذا او نقل اليك بالكتاب، بالتأكيد نقل إليه، ويمكن القول ان الاسلام ايضاً نقل الينا بالإعلان بالوحي من خلال القران الكريم.

الثاني: إن عيسى عليه السلام لم تذكره التوراة، وكا ما ورد من نصوص هي تحتمل التأويل لعيسى عليه السلام او للنبي محمد صلى الله عليه واله، والدليل ان اليهود لليوم ينتظرون المشيح المخلص، فان عدم ذكر النبي محمد(صلى الله عليه واله وسلم) في التوراة ينسحب الى عيسى عليه السلام ايضاً.

الثالث: وهو الأغرب وما يثير التساؤل عن صحة نسبة هذا الكتاب الى يوحنا الدمشقي، ان حياته وحياة أسرته كانت في كنف المسلمين ممن شاهد النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وسمع بنزوله فلماذا لم يسالهم وهو في زمانهم؟.

الرابع: أين اعلن في التوراة ان المسيح سيصلب؟، وانما ذكر في الاناجيل قصة صلب عيسى عليه السلام، والحال ان الاشكال يقع عليه ايضاً.

ويتساءل يوحنا مجدداً: **" ونسألهم من جديد: كونه هو نفسه أمركم في كتابكم ألا تفعلوا شيئاً وألا تقبلوا شيئاً بدون شهود، فلِمَ لم تسألوه: ابدأ أنت أولاً وبرهن لنا من خلال الشهود أنّك نبي وأنك مُرسَل من الله وما هو الكتاب الذي يشهد لصالحك؟، فيلزمون الصمت ثم خجلين"** (الهرطقة المئة، صفحة 52). ويلمح لك انه اول شخص يسأل هذا السؤال والقران الكريم لم يترك تسجيل هذا السؤال على لسان الكفار والمشركين، الذين طلبوا من الحبيب المصطفى بيان حقيقة نبوته وجاء الجواب، إن معجزته هي القران الكريم التي تحدى بها العرب وكان امام الملأ- ولم يستطع احد قبول التحدي. **قال تعالى: ((قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)) الاسراء/ 88.**

ب- نقد داخلي: حاول هنا الدمشقي ضرب مضامين القران الكريم من الداخل محاولاً بيان ضعف وتعارضه، ونقد ما جاء فيه واعتبره هرطقة:

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 127) 2024, pp. 867-879

نقد المعتقدات: ينطلق الدمشقي لنقوده لمضامين القران الكريم من احقية المعتقدات المسيحية وعلو كعبها على اليهودية والاسلام، فيجعل اللاهوت المسيحي اساساً يصحح عليه باقي المعتقدات، وكل من خالفه يرميه بالهرطقة، وتناسى إن ما وصله هو نتاج تطور العقيدة المسيحية عبر قرون، إذ كانت هناك آراء واقوال اخرى تخالفه في المعتقد المسيحي من قساوسة هو اشار اليهم نظير ما ذكره عن الراهب آريوس: **" وبعد أن تحاور كما يبدو مع راهب أريوسي"** (الهرطقة المئة، صفحة 50). ولا يخفى إن آريوس الذي كان يدعو الى بشرية عيسى (عليه السلام) هو كاهن إسكندري أنكر أن يكون الأقنوم الثاني في الثالوث مساويا للأب في الجوهر، وأوضح إن الابن، وهو مولود، كان له بداية، لأن الأب خلقه بحريته في مجرى الزمان، والآب مختلف عن الابن. (الايمان الكاثوليكي، 1999، صفحة 18) فكل دعوة تخالف عقيدتهم في عيسى يحيلونها الى هذا الراهب.

1- ومن مقارناته بين العقائد المسيحية مع الاسلامية، بعد أن يعرض عقيدة القران الكريم في التوحيد التنزيه عن الولد وان عيسى عبد مخلوق لله من أمه العذراء (الهرطقة المئة، صفحة 51). يقول: **" إنهم يدعوننا "مشركين"، لأننا - كما يقولون - نشيع إلى جانب الله شريكاً له، عندما نقول بأن المسيح هو ابن الله وأنه الله. فنقول لهم: "هذا ما نقله إلينا الأنبياء والكتاب المقدس؛ وأنتم أيضاً تقبلون بالأنبياء كما تجزمون. وإذا ما قلنا نحن خطأ بأن المسيح هو ابن الله فهم من علمونا ذلك ومن نقلوه إلينا"** (الهرطقة المئة، صفحة 51). ودعوة ان هذا نقل الانبياء لا تصمد اما النقد؛ لان هذه النصوص ان وجدت حمالة اوجه وتحتمل معان اخرى بحسب القارئ، بدليل ان عقيدة المسيح لم تستقر وبتطور حتى بعد مجمع نيقيه325، وواجهة المسيحية مشكلة النصوص بين العهد القديم والجديد، القديم فيه اشارات الى نبوة وليد العذراء عمانؤيل (اشعياء: 7: 14) وبين نصوص يوحنا في انجيله التي تتحدث عن بنوة عيسى للرب وتأليه.

2- ومن ملامح عدم الدقة والموضوعية لديه نسبة بعض الأمور الى المسلمين ومنها تقديس الحجر الاسود ووصفها بأمور لا توجد عند المسلمين قط، بل لا نعلم من اين جاء بهذا الكلام ومصادره التي اعتمد عليها، بل اغلب الاحاديث تدل على انها حجارة نزلت من الجنة (الكليني، صفحة 185/4) (الترمذي، 1983، صفحة 2/ 182) (المكي، : 1424، صفحة 1/ 84.) وغيرها: يقول: **" ويتهموننا أيضاً بعبادة الأوثان لأننا نسجد أمام الصليب الذي يستفظعونه. فنقول لهم عندئذ: "لماذا إذاً تحتكون بحجر كعبتكم هذا وتحبون الحجر حتى معانقته"؟ فيقول بعضهم إن إبراهيم قد جامع هاجر عليه، وآخرون إنه قد ربط الناقة به عند تضحيته بإسحق"** (الهرطقة المئة، صفحة 55)، من قال إن إبراهيم عليه السلام فعل هذا وكتب المسلمين شاهدة بذلك.

3- ومن غرائبه حديثه عن ناقة ذكرت في القران الكريم، وذكر ان سورة باسمها يشير الى سورة البقرة، اذ يتحدث عن قصة لاوجود لها في القران الكريم، وان هذه الناقة شربت بعد شرب الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وتفاصيل اخرى لا صحة لها ولاوجود لها، بينما ما موجود بالقران الكريم قول تعالى: **((إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)) البقرة/67.**

الخاتمة:

قراءة النصوص ومحاولة فهم مراد المؤلف ليست بالهينة خاصة اذا كانت أجواء التأليف مشحونة بالكراهية، وهذا ما ميز الهرطقات المئة:

واتضح إن المسيحية مرت بمراحل طويلة من تعدد الآراء قبل ان تستقر على عقيدة رسمية وحاربت كل الآراء التي خالفت معتقدها التي شكلت خطراً كبيراً على وجودها منذ البداية؛ لان عقائدها لم تكن محل رضا الجميع، ولهذا عقدت الكثير من المجامع للرد على هذه الاقاويل، إن رأي رجال الدين (ممثلي الكنيسة) كان الحكم والفيصل في قبول العقيدة المسيحية من ردها؛ لأن النص المقدس كان عرضت لقراءات متعددة وسميت تلك القراءة التي لم تحض بقبول رجال الدين المسيحيين الذي اجتمعوا لأجلها في المجامع المسكونية، تسمى بالهرطقة، فالهرطقة قراءة للنص المسيحي لم تحض بموافقة الكنيسة. وفي قراءة نقدية لكتاب الهرطقات المئة اتضح لنا موقف المسيحية من المخالفين لها، وان يوحنا الدمشقي وهناك من سبقه اعتقدوا ان النبي محمد صلى الله عليه واله كان مسيحياً مهرطقاً أي خارج عن السياق المسيحي، واستنتجنا ذلك من وضع الإسلام ختاماً للهرطقات.

ترك يوحنا الدمشقي ومؤلفه الهرطقات المئة اثراً كبيراً في ساحة العلم إذ أنه صنف الى بدايات الجدل المسيحي الاسلامي اللاهوتي، فكثير مما جاء بعده كان متأثراً فيه، فالبعض يعتقد انه من رواد التنصير، واخرون يعتقدون انه من رواد التبشير، وللحق انه لم يكن يبشر ولم يكن يدعو للتنصير، وغايته الاساس هي الدفاع عن المسيحية من خطر الإسلام، بعد ان وجده ينتشر انتشاراً كبيراً بين مسيحي المشرق.

المصادر والمراجع:

بعد القرآن الكريم
1- الاسطورة المسيحية للراهب بحيرا في النصوص العربية والسريانية: د. وليد البعاج، ومضات للنشر-بيروت، ط: 2020.
2- اكذوبة ام اعجوبة: فيليب كامل، ط:2024.
3- الايمان الكاثوليكي: ترجمة: صبحي اليسوعي، دار المشرق-بيروت، 1999.
4- البدع والهرطقات خلال عشرين قرنا: القس ابراهيم عبد السيد، مطبعة الانبا رويس، ط: 1987.
5- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: د. بروس بارتون واخرون، ترجمة: شركة ماستر ميديا، القاهرة.
6- تفسير الميزان: السيد الطبطبائي، دار العلم0 بيروت، ط: 1999.
7- التقليد واهميته في الايمان المسيحي: الاب متى المسكين، مطبعة دير القديس انبا مقرا، ط: 2006.
8- الرسول (ص) في عيون غربية منصفة: حسين حسيني، دار الكتاب العربى – دمشق، ١٤٢٦.
9- سنن الترمذي: الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن محمد، دار الفكر- بيروت، ط: 1983.
10- طبيعة المسيح: البابا شنودة الثالث، مطبعة الانبا رويس-القاهرة، ط3: 1991.
11- عقائدنا المسيحية الارثوذوكسية: القس بيشوي حلمي، دار نوبر للطباعة- القاهرة، ط: 2007.
12- الفيلوكاليا: القديس نيقوديموس ومكاريوس، ترجمة: الراهب اغاثون.
13- القوانين الرسولية: ترجمة الاب جورج نصور، جامعة الروح القدس- بيروت، 2006.
14- قوانين المجامع المسكونية وخلاصة قوانين المجامع المكانية: القس اثنانيوس المقاري، مطابع النوبار- القاهرة ، ط2013.
15- الكافي: الكليني: تحقيق: علي اكبر الغفاري، دار الكتب الاسلامية- قم.
16- كتاب 101 سؤال وجواب عن الكتاب المقدس: رايموند براون، ترجمة: ماري فكري، دار الراكويني- القاهرة، ط: 2018.

17- الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، الانبا يؤانس، مطبعة الانبا رويس- القاهرة، ط3: 1987.
18- اللاهوت والكنيسة: فالتر كاسبر، ترجمة: المطران يوحنا منصور، المكتبة البولسية-بيروت، ط: 2006.
19- مجمع قوانين غبريال بن تريك: تحقيق: الاب انطونيوس عزيز، مركز التراث العربي المسيحي- بيروت، ط1993.
20- مجموعة الشرع الكنسي: حنانيا الياس كساب، منشورات النور- بيروت، ط: 1998.
21- مختصر في علم اللاهوت العقائدي: لود ويغ اوث، ترجمة: الاب جرجس المارديني، المطبعة الكاثوليكية- بيروت، ط: 1965.
22- المسيحية الاموية: نجيب جورج عوض، ترجمة: عبيدة عامر، الشبكة العربية للابحاث والنشر- بيروت، 2024.
23- المفهوم الارثوذكسي للحق القانوني: الاب سمير غلام، منشورات النور- بيوت، 1986.
24- مقارنة الأديان، المسيحية، د. أحمد الشلبي.
25- منصور بن سرجون: القس جوزف نصر الله، ترجمة: القس انطوان هبي، المكتبة البولسية- بيروت، ط: 1991 : 85.
26- نقد الخطاب الاستشراقي: ساسي سالم الحاج ، دار المدار الإسلامي – بيروت، ط: 2002.
27- الهرطقة المئة: القديس يوحنا الدمشقي، 1997.
28- الهرطقة في السيحية: ج. ويلتر، ترجمة: جمال سالم، دار التنوير- بيروت، ط" 2007.
29- وأخبار مكة في قديم الدهر وحديثه: محمد بن اسحاق المكي، تحقيق: ابن دهيش ، عبد الملك، مكتبه الاسدي - مكه مكرمه، ط: 1424.
30- وزراء النصرانية وكتابها في الاسلام: لويس شيخو، تحقيق: الاب كميل حشيمه، المكتبة البوليسية، ط: 1987.

Abstract:
The multiplicity of readings of religious texts has led to a multiplicity of opinions within religion as well as outside it. With religions fearing that their internal structure will be infiltrated because criticism is internal, they have imposed strict penalties to limit these ideas that contradict the official reading. Through our research, we attempt to shed light on an important dialectic between freedom of opinion and the accusation of heresy in Christianity, which considers ideas that differ from its beliefs to be a departure from the general context of religion and a violation of its doctrinal necessities. The research begins by shedding light on the ancient texts that accompanied the emergence of Islam in its early days, which are among the oldest texts that represent the Christian-Islamic debate. It is the work of the monk John of Damascus, known as the Flow of Gold, through his book "The Hundred Heresies", which had a great impact in missionary and orientalist circles.
Keywords: John of Damascus, heresy, doctrine, Islam.